بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله سبحانه وتعالى وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم، وبعد فالعقيدة أغلى ما يملك المسلم؛ لأن الإسلام عقيدة تنبثق منها شريعة ينبني منهما سلوك، فالعقيدة هي الأصل الذي تقوم عليه سوق الإسلام.
وعقيدة المسلم مصدر سعادة قلبه وفرح نفسه وسرور روحه، بها يعرف ربه ونبيه ودينه، وبها يعرف من أين جاء ولماذا يحيا وكيف يعيش وإلى أين يصير، وبها يصحح تصوره عن الإنسان وعن الكون وعن خالقه جلّ في علاه.
ولهذا كانت العقيدة أول ما دعا إليه أنبياء الله ورسله والمصلحون والعلماء والدعاة الصادقون مِن بعدهم، وهذا ما نلمسه في دعوة نبينا ﷺ ثم صحابته ومَن سار على طريقهم بإحسان.

لقد كان الكبير والصغير مِن الرجال والنساء والأطفال موضع عناية النبي ﷺ في دعوته، وكان أول ما يحرص على غرسه في القلوب وتعليمه للعقول وتأديبه للأعضاء: العقيدة، أصولها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، ومسائلها التي تتعلق بهذه الأصول، وثمارها التي تنتج عنها، ويقرِّب إليهم ما ينفعهم في الثبات عليها ويحميهم مما يضرها ويزلزلهم عنها.

إنَّ المسلم يتقلب بين لحظتين اثنتين هما مبدأ حياته ومنتهاها: اللحظة الأولى تبدأ بالتأذين، والأخرى تنتهي بكلمة التوحيد.

فأول ما يقرع سمع المولود – كما أوصى النبي ﷺ بهذا -: كلمات الأذان، وهي كلمات تتضمن كبرياءَ الربِّ سبحانه وتعالى وعظمتَه، وتحتوي على الشهادة التي هي أول ما يُدخل بها في الإسلام، فكأننا إذا أذنَّا في أذن المولود عند مجيئه إلى الدنيا نلقنه شعار الإسلام الذي يمضي عليه في الحياة: في صلاته، ونسكه، ومحياه.
وآخر ما يقرع سمع المسلم في الحياة - كما رغبنا النبي ﷺ -: كلمة التوحيد، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.

فبالعقيدة جاء المسلم إلى الدنيا، وبالعقيدة يخرج منها، وبالعقيدة يعيش بين المجيء والخروج، من حصل ذلك سعد في الدنيا والآخرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "افتحوا على صبيانكم أول كلمة: لا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت: لا إله إلا الله"، وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أفصح أولادكم فعلموهم لا إله إلا الله.."، وهذه أم سليم الرميصاء أم أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين أسلمت وكان أنس صغيرًا، لم

يفطم بعد، فجعلت تلقن أنسًا قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن لا إله إلا الله، ففعل، فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليَّ ابني فتقول: إني لا أفسده.

وهذه دعوة أوجِّهها إلى المربِّين - وفي المقدمة منهم الآباء والأمهات -: أن اعتنوا بتعلم العقيدة والتفقه فيها، واعتنوا بتعليمها لطلابكم وأبنائكم وتعريفهم بمعانيها واغرسوا في قلوبهم محبتها، فإنها عصمة وأمان من كل شر وإنها سبيل وباب إلى كل خير.

اقتدوا - أيها الآباء والأمهات – بنوح عليه السلام: {يا بُني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين}، وبإبراهيم ويعقوب عليهما السلام: {يا بَني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون}، وبالعبد الصالح لقمان: {يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم}، وبسيد الخلق محمد ﷺ: "يا غلام إنِّي أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفَّت الصحف".

وأفضل ما كان التعليم في الصغر، فإنه نقش على الحجر، فإذا كان وقت نطق الولد فليحرص الآباء على أن يلقنوه "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وليكن أول ما يقرع مسامعه معرفة الله سبحانه، وتوحيده، وأنه سبحانه فوق عرشه، ينظر إليهم، ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا، وفي الحديث عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزاوِرة - قد قاربوا البلوغ - فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا".

وفي رواية: "وإنكم اليوم تَعلَّمونَ القرآن قبل الإيمان".

هذا النبي ﷺ يعلم فتيان الصحابة الإيمان - المسائل المتعلقة بأصوله مجملة - قبل أن يعلمهم معاني القرآن، فإذا علمهم معاني القرآن بعدها زادهم ذلك التعليم إيمانًا مع إيمانهم، كما في الآية الكريمة: {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون} وذلك لِما بين الإجمال والتفصيل من فرق في الأثر والثمرة.

وقد أورد الحاكم في المستدرك خبرًا من رواية عبد الله بن عمر يوضح هذه المعاني، فيقول: "لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تَعلَّمونَ أنتم القرآن"، ثم قال: "لقد رأيت رجالًا يؤتى أحدهم القرآن، فيقرأ ما بين

فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نَثْر الدقَل"، - والدقل هو الرديء من التمر وما لا فائدة فيه -.

ومن طرق تعليم العقيدة للبنين والبنات – بل هي أوفقها -: القصة؛ لما فيها من سحر البيان وجاذبية الأحداث وتطلع النفوس للتفاصيل وتشوقها لما خفي عنها، ومن ثم يُصغي الشخص إليها القلب ويُلقى إليها السمع ويُسكن من أجلها الأعضاء وينتبه لها بعقله تمام الانتباه ويقبل عليها وهو مستمتع مسرور، ومن هنا تصل إليه معلوماتها في لطف وتنتقل إليه مقاصدها في خفة ويستوعب سرها ويتقمص شخصياتها، وهذا شيء يحصل للصغير والكبير - على تفاوت -.

ومن هنا اعتنى بالقصص القرآنُ الكريم، فكانت القصة إحدى محاوره الخمسة: "الله الواحد، الكون الدال على خالقه، القصص القرآني، البعث والجزاء، التربية والتشريع"، واعتنى بها النبيُّ ﷺ في سنته، فرأينا مئات القصص في الحديث النبوي الشريف وجمعها العلماء في مصنفات خاصة، واعتنى بها المربُّون من لدن الصحابة إلى يومنا، وقد بثوا فيها مضامين العقيدة والعبادة والسلوك، وهذا ما ينبغي علينا - المربين والمربيات - في شأن الدين عامة وشأن العقيدة خاصة.
وهذه القصص التي بين يديك أيها القارئ: "علِّمني يا جدِّي" للأستاذ علي عبد الله علي من هذا النوع المفيد النافع الهادف، وقد قرأت منها هذه القصة الجميلة: "علِّمني يا جدِّي الإيمانَ بالله"، فاستمتعت بحوارها المعلِّم المربِّي، وتسلَّيت بحكاياتها الهادفة النافعة، وأعجبت بطريقتها الرائقة الجذابة، وأسأل الله تعالى أن يتقبلها وينفع بها ويكتب أجر كاتبها ومن يقوم على توصيل رسالتها.

أحمد الجوهري عبد الجواد

٤ من ربيع الآخر ١٤٤٦ هـ، ٧ من أكتوبر ٢٠٢٤ م